الدلالة . عليك أن تمارس قراءة المعجم قراءة مشغوف به ، ومتسائل بطريقتك الخاصة كيف أمكن لهذا اللفظ أن يخرج من هذا الاستعمال إلى ذاك . هل ظل اللفظ محتفظا بوحدته رغم تغيره أم استحال إلى شيء آخر مغاير تماما .

كان أمين حريصا على ألا يتحدث حديثا نظريا . كان على العكس من ذلك يستوقفنا عندما كان ، وما صار إليه اللفظ . وكانت وقفته أو تساؤله أوصمته مثيرا لأعمق أنواع الالتفات . .

كان تجديد الأدب شيئا قديما جدا ، فقد كان آباؤنا الأقدمون الذين نسميهم باسم اللغويين ، والشراح عبادا للألفاظ ، يتنسكون بمعرفتها ، ويتنسكون بالشعور بوعثائها أو صعوبة الطريق إليها ، ويتحاورون فيها بينهم فيما عسى أن يعنيه هذا اللفظ فى هذا السياق ، يختلفون ويتناقشون فيما اختلفوا فيه ، وكان هذا عندهم آية المعرفة .

آية المعرفة هى الجدل حول مدلولات الألفاظ . وقد سمعت من قبل أن مدلول اللفظ يغير حكما من الأحكام ويقضى فى حياة جماعة من الجماعات . هذا مايعرفه كل دارس يقظ للفقه والأصول .

على هذا النحو نشأ أمين ، ونشأت طريقة تربيته لطلابه ، إن أعمق الأشياء يمكن أن تنبثق من التأمل فى مدلولات لفظ من الألفاظ . . كل تجديد يترامى إلى النقل وتلخيص الأفكار دون أن يطرح هذا الإشكال بطرق مختلفة يجب أن يوضع فى قفص الاتهام . ولايمكن فى خضم هذه الانطباعات أن يتناسى المرء يوما سأل فيه أمين عن معنى كلمة : يمثلنا إذا قلنا مثلا هذا أدب يمثلنا ، فرأينا رأيا قد يختلف فيه معنا قارىء آخر . وبعبارة واضحة إننا نستعمل الألفاظ استعمالات متباينة ، ونتجادل دون أن نفطن إلى أن الألفاظ الأساسية تتحرك على ألسنتنا بين اليمين واليسار . . هذا مثل من أمثال كثيرة كان أمين يستوقفنا عندها . ولا أحب أن أضيف أمثلة أخرى أوشكت أن تتساقط من الذاكرة لبعد العهد .

وكان يعجب أشد العجب حينما يرى كلمة شائعة فى الوسط الأدبى مثل : الصنعة أو التصنع دون أن نبحث عن حياة هذا اللفظ فى المعجم العربى على تطاول الزمن . كيف نشأ ؟ وفى أى الظروف ؟ . . وكيف استحالت حياته بعد هذا العمر الطويل ؟ هل خطر بذهننا أن نتفحص المعاجم وحياة الألفاظ على أقلام مستعمليها عبر عصور